

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة الثلاثون بعد المائة

ابن تيمية (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الأولين والآخرين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :-

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نقف اليوم مع حياة علم من أعلام الإسلام ، ممن برع ي حداثة سنه ، ففاق أقرانه ، وأعجب أهل زمانه . إنه شيخ الإسلام تقي الدين أبوا العباس أحمد بن تيمية رحمه الله .

إن تلك الحياة الجادة التي عاشها شيخ الإسلام ابن تيمية في صغره وشبابه أثمرت المكانة العالية له في مستقبل حياته من العلم والعمل ، ومن ذلك قوته في مرضاة الله وصبره على الشدائد، واحتماله إياها، وثبوته على الحق إلى أن توفاه الله تعالى على ذلك، صابراً محتسباً راضياً شاكراً.

إن مما ورد من أخبار وفاته (رحمه الله) لدليل واضح على مكانته العالية في النفوس ، فإن من أظهر الناس له الوفاء والتقدير والمحبة له بعد وفاته ، فإنما يدل ذلك على حبهم له في الله وبالله ، ومن أجل الآخرة ، لا من أجل الدنيا ، لأنه قد انقطع عن الدنيا ، فال يمكن أن ينفعهم منها بشيء .

أما من أحبه الناس للدنيا ، واتبعوه من أجلها ، فإنه بعد وفاته ينكشف الأمر ويفتضح الستر ، فلا ترى لهم وجوداً في مشهد جنازته وإن وجد بعضهم فلمصلحة من المصالح، لأن نفعه قد انتهى ، والأمل فيه قد انقطع .

ويدل على هذا المعيار قول الإمام أحمد (رحمه الله) : «قولوا لاهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز» وذلك يعني عند وفاة الشخص يتبين من كان على الحق ممن هو على الباطل .

وأحداث موت شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) تدل على مكانته ، فقد مرض (رحمه الله) أياماً يسيرة وكان إذ ذاك الكاتب شمس الدين الوزير بدمشق، فلما علم بمرضه استأذن في الدخول عليه لعيادته فأذن الشيخ له في ذلك، فلما جلس عنده أخذ يعتذر له عن نفسه ويلتمس منه أن يحله مما عساه أن يكون قد وقع منه في حقه من تقصير أو غيره.

فأجابه الشيخ (رحمه الله) بأني قد أحللتك وجميع من عاداني، وقال ما معناه إني قد أحللت السلطان الملك الناصر من حبسه إياي لكونه فعل ذلك مقلداً غيره معذوراً ولم يفعله لحظ نفسه، بل لما بلغه مما ظنه حقاً ممن مبلغه. وقد أحللت كل واحد مما كان بيني وبينه، إلا من كان عدواً لله ورسوله .

ويلاحظ من هذا أن الشيخ (رحمه الله) سامح فيما له من الحق الشخصي رغبة لما عند الله سبحانه وتعالى ، ومن كان معذراً في عداوته ، أما من كان عدواً لله ولرسوله فقد استثناه من المسامحة لأنه لا يستحقها، وسيلقى جزاءه عند رب العالمين .

بقي الشيخ ابن تيمية (رحمه الله) في مرضه إلى ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة ، وتوفي في بكرة ذلك اليوم وذلك من سنة ثمان وعشرين وسبع مئة، وهو على حاله، مجاهداً في ذات الله تعالى، صابراً محتسباً، لم يجبن ولم يهلع، ولم يضعف ولم يتتبع . بل كان (رحمه الله) إلى حين وفاته مشغولاً بالله عن جميع ما سواه .

قالوا فما هو إلا أن سمع الناس بموته فلم يبق في دمشق من يستطيع المجئ للصلاة عليه إلا حضر لذلك وتفرغ له، حتى غلقت الأسواق بدمشق وعطلت معاشها حينئذ وحصل للناس بمصابه أمر شغلهم عن غالب أمورهم وأسبابهم ، وخرج الأمراء والرؤساء والعلماء والفقهاء والأتراك والأجناد والرجال والنساء والصبيان من الخواص والعوام .

ثم أخرجت جنازته حتى أدخلت جامع بني أمية ظناً منهم أنه يسع الناس، فبقي كثير من الناس خارج الجامع، ثم حمل على أيدي الكبراء والاشراف ومن حصل له ذلك من جميع الناس الى ظاهر دمشق ووضع بأرض فسحة متسعة الأطراف وصلى عليه الناس قال أحدهم وكنت أنا قد صليت عليه في الجامع وكان لي مستشرف على المكان الذي صلى فيه عليه بظاهر دمشق فأحببت أن أنظر إلى الناس وكثرتهم فأشرفت عليهم حال الصلاة وجعلت

انظر يمينا وشمالا ولا أرى أواخرهم بل رأيت الناس قد طبقوا تلك الارض كلها . وقال العارفون بالنقل والتاريخ لم يسمع بجنازة يمثل هذا الجمع إلا جنازة الامام احمد بن حنبل (رحمه الله) .

ثم جعل الناس يتناوبون قبره للصلاة عليه من القرى والأطراف والأماكن والبلاد مشاة وركباناً، وما وصل خبر موته إلى بلد إلا وصلي عليه في جميع جوامعه ومجامعه خصوصاً أرض مصر والشام والعراق وغيرها .

ولم ير لجنازة أحد ما رئي لجنازته من الوقار والهيبة والعظمة والجلالة وتعظيم الناس لها وتوقيرهم إياها وتفخيمهم أمر صاحبها وثنائهم عليه، ولم يكن ذلك لمنصب كن يشغله ، ولا لمال كان يملكه ، ولا لمصلحة دنيوية أرادها الناس منه .

بل بما كان عليه من العلم والعمل، والزهادة والعبادة، والإعراض عن الدنيا، والاشتغال بالآخرة، والكرم والمروءة، والصبر والثبات، والشجاعة والفراصة والإقدام، والصدع بالحق والإغلاظ على أعداء الله وأعداء رسوله والمنحرفين عن دينه، والنصر لله ولرسوله ولدينه ولأهله، والتواضع لأولياء الله، والتذلل لهم، والإكرام والإعزاز والاحترام لجنابهم، وعدم الاكتراث بالدنيا وزخرفها ونعيمها ولذاتها، وشدة الرغبة في الآخرة، والمواظبة على طلبها، ونحو ذلك من صفاته الحميدة .

فضلاً عما نفع به أهل عصره في إرشادهم إلى الحق والمنهج المستقيم بالأدلة الواضحة الجلية العقلية والعقلية خصوصاً في أصول الدين ، وتبيين الحق المحض والاعتقاد العدل وافراده عن غيره من البدع والضلالات .

ولقد رثاه الشيخ أحمد بن الحسن بن محمد الخياط جاء فيها :

خشعت لهيبة نعشك الأبصار لما عليه تبدت الأنوار

وبه الملائكة الكرام تطوفت زمرا وحفت حوله الأبرار

فكساه رب العرش نورا ساطعا فكأنما غشي النهار نهار

كان الممات زفاف عرس حياته وبه النفوس مع الدموع تثار

إن كان من أهل وجيران نأى      فله دنا من ذي الجلال جوار

أو كان عن دارالفناء رحيله      فلديه في دار البقاء ديار

أو كان أزعج عن ذرى أوطانه      فله بخلد في الجنان قرار

فجزاه الله شيخ الإسلام ابن تيمية أحسن الجزاء عن الإسلام والمسلمين وسبحان من اعطاه ما اولاه ومدّه بحسن التوفيق الى ما هداه واعانه بالصبر الجميل الى ان توفاه ورضي عنه وارضاه ورزقنا وكافة المسلمين الحياة والموت على الكتاب والسنة حتى نلقاه والاعتصام بهما في جميع ما نتلقاه .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.